

الباب الثاني

لمحة عن حياة الإمام الشافعي

أ. حياته

ولد الشافعي بمدينة غزّة من أرض فلسطين سنة ١٥٠ هـ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها، وما ميز حتى صار نادرة الدنيا ذكاء وحفظاً. حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وأولع بالعربية من النحو والشعر واللغة، وتتبعها من رواتها، ورحل إلى البادية في طلبها، ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً. وبينما هو يترنم بشعر للبيد زجره بعض الحجة عن أن يكون مثله في شرفه ونسبه راوية للشعر.

توفي سنة ٢٠٤، ودفن بالقرافة، وقبره بها مشهور حتى صارت تنسب إليه، وكان الشافعي أفضل من رأى الناس ذكاء وعقلاً وحفظاً

وفصاحة لسان وقوة حجة، ولم يناظر أحدا إلا ظهر عليه، وكان يقول

: ماناظرت أحدا إلا وددت أن يظهر الحق على يديه.^١

طلب الشافعي العلم بمكة على من كان فيها من الفقهاء

والمحدثين فيها، وبلغ شأوا عظيما، حتى لقد أذن له بالفتيا مسلم ابن

خالد الزنجي وقال له : افت يا أبا عبد الله، فقد ان لك أن تفتني.

وكان يصح أن يقف الشافعي عند هذا القدر، وقد بلغ منزلة الإفتاء،

ولكن همته في طلب العلم لا تقف به عند حد، لأن العلم ليس له

حدود وأقطار، فقد وصل إليه خبر إمام المدينة مالك رضى الله عنه،

وكان ذلك في وقت انتشر اسم مالك في الافاق وتناقلته الركبان، وبلغ

شأوا من العلم والحديث بعيدا، فسمت همه الشافعي إلى الهجرة إلى

يثرب في طلب العلم، ولكنه لم يرد أن يذهب إلى المدينة خالى الوفاض

من علم مالك رضى الله عنه، فقد استعار الموطأ من رجل بمكة، وقرأه،

^١ الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب، (دار

والروايات تقول إنه حفظه، ولعل حفظه الموطأ، وقراءته، كانت مضاعفة لباعث الذهاب لإمام دار الهجرة، فقد استطاع أن يستأنس منه بفقه مالك رضى الله عنه مع ما رواه من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه.^٢

والشافعي فوق ذلك هو الذى وضع أصول الفقه، أى الأصول العامة للاستنباط. فدراسته دراسة لأصول الفقه، وقد إبتدأ يحد، ويتحيز، ويتخذ لنفسه مكانا مفصلا عن دراسة الفرع، وضوابطها العامة، وإن تلك الدراسة لها ثمرتها، ولها جدواها، لأنها دراسة تاريخ علم آخر غير علم الفروع وأحكامها.^٣

وفي مكة أخذ الإمام الشافعي العلم والفقه عن أئمة الفقه، والتفسير، والحديث، واللغة كمسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة

^٢ الإمام محمد ابو زهرة، الشافعي حيات وعصره /ارواه وفقهه، (دار الفكر العربي: ١٩٧٨)،

^٣ الإمام محمد ابو زهرة، الشافعي حيات وعصره /ارواه وفقهه، ... ص. ١٢٠

وفقيهاها، وسفيان بن عيينة شيخ المحدثين. ثم غادر مكة إلى المدينة المنورة، فأخذ الحديث عن مالك بن أنس شيخ المحدثين. وولي الإمام قضاء اليمن، حيث أخذ عن جماعة من العلماء والمحدثين كعمرو بن أبي مسلمة، ويحيى بن حسان، وهاشم بن يوسف قاضي صنعاء.^٤

ب. شخصيته

إذا تذهب تتقصى شخصيته الإنسانية وتجدها غاية في القوة والسمو والحيوية، وتعدد الجوانب وسعة الأفق، وذلك بالإضافة إلى ما أثر عنه من براعة ودكاء.

يتحدث عنه الذين عاصروه أنه كان محبا إلى نفوس عار فيه، وكان إشعاعه، ولباقته وحسن حديثه يكسبه حب الناس وثقتهم، وأنه قد توافرت له صفات الداعية صاحب المذهب، هذه الصفات التي

^٤ إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، (بيروت: دار الكتاب العربي،

تتمثل فيما أثر عنه من طول أناة وحلم، وابتسام ثغر، وإشراق وجه،
وبعد عن الغضب، وتواضع، وخفض جناح، وسلامة صدر، وصفح
عمن يسئ إليه، وبعد عن التعصب وإملاء الرأى.. فقد كان يعذر
مخالفه في الرأى ويقبل منهم.

ويرجع ذلك إلى تلك الأصالة النفسية التي كونت طابعه، طابع
الزعامة.

وقد بما كان الصوت الجميل، وطلاقة اللسان من أدوات الداعية الفذ.
ويرجع السر في فصاحة الشافعى إلى أنه أقام بالبادية فلقن اللسان
العربى.

إنه نموذج فذ، وقدوة صالحة، نعيش معه في أفكاره، وتجاربه، وتتجلى
لنا من خلال شعره فلسفته في الحياة في وقت تشتد فيه الحاجة إلى
خلاصات التجارب السلوكية في البيئة العربية لتنتفع بها، وتسير في
هديها.

إن في أشعاره من التركيز، ونفاذ البصيرة، ودقة الملاحظة وحسن التعبير ما يجعل الألسنة تتلقفها، فتذيع وتنتشر وتصبح سلوكا وعملا ومنهجاً لحياة راضية آمنة.^٥

ج. نسبه

والرواية التي تعتنقها الكثرة العظمى من مؤرخي الفقهاء بالنسبة لنسبه أنه ولد من أب قرشى مطلبى، وتقول تلك الكثرة في سلسلة نسبه أنه محمد ابن إدريس بن العباس، بن عثمان، بن شافع، بن السائب، بن عبيد، بن عبد يزيد، ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف.

والمطلب الذى ينتهى الشافعى أحد أولاد عبد مناف الأربعة، وهم المطلب، وهاشم، وعبد شمس جد الأمويين، ونوفل جد جبير بن معطم، والمطلب هذا هو الذى روى عبد المطلب ابن أخيه هاشم جد

^٥ محمد ابراهيم سليم، ديوان الإمام الشافعى، (مصر الجديد القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٤٨٣)،

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كان بنو المطلب وبنو هاشم حزبا واحدا، يقاومه بنو عبد شمس في الجاهلية.^٦ وهناك فئة متعصبة من المالكية والحنفية، زعمت أن الشافعي لم يكن قرشيا بالنسب، بل كان قرشيا بالولاء، لأن شافعا جده كان مولى لأبي لهب، ولم يلحقه عمر بموالي قريش، ثم ألحقه عثمان من بعد عمر بهم.^٧

د. أعماله

- الإمام الشافعي العديد من الكتابات، من بينها الأكثر شهرة هي:
١. يحتوي كتاب الأم، كتاب الفقه الذي يتألف من أربعة مجلدات على ١٢٨ مشكلة وينقسم إلى أكثر من ٤٠ فصلاً.
 ٢. كتاب الرسالة الجديدة، يعتبر هذا الكتاب أمّا كتاب فقه الحق الذي يتكون من مجلد واحد كبير كشف عنه أحمد سيكيّر.

^٦ الإمام محمد ابو زهرة، الشافعي حيات وعصره اراوه وفقه، ... ص. ١٤-١٥

^٧ عبد الغني الدقر، الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، (دمشق: دار القلم، ٢٠٤)، ص. ٣٥-

بالإضافة إلى هذين ، هناك العديد من الكتب التي نسبت إليه
 بما في ذلك كتاب "المسند" و "السنن" و "راد علاء علي البراهيمية" و
 "مهنة إمام"^٨

كان الإمام الشافعي أشبه بدائرة معارف عصره، أو قل كان
 مجموعة علماء في رجل، إذا كان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات،
 وبتفسير القرآن ومعانيه ونزوله، وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم،
 فقيها، عالما بأصول الكلام، وبالحدِيث، وبالْجرح والتعديل، فصيحا
 عالما باللغة وديوان العرب، عارفا بالطبّ، والنجوم، والرمي والفروسيّة.^٩

- الشافعي الفقيه

يعتبر الإمام الشافعي من أعظم الأئمّة والعلماء المسلمين في
 الفقه، كيف لا، وهو مؤسس المذهب الشافعي، وصاحب كتاب

^٨ Nurul Mukhlisin Asyrafuddin, *Ringkasan Aqidah dan Manhaj Imam Asyafi'i*, 2007, p.5

^٩ إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ١٦٠

"الأمّ" الذي ضمنه خلاصة مذهبه الفقهي، وآراءه المتنوعة في

المسائل التي طرحت عليه.^{١٠}

- الشافعي المتكلّم المناظر

جاء في كتاب "تاريخ الإسلام"، للذهبي:

(قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: ما رأيت الشافعي

يُنَظَرُ أحداً إلا ورحمته. وقال الربيع بن سليمان: سئل الشافعي في

مسئلة، فأعجب بنفسه، فأنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدّين لي # كشفت دقائقها بالنظر

ولست بإمّعة في الرجال # أسائل هذا وذا ما الخبر

ولكنني مدره الأصغرين # فتّاح خير وفراج شر

وعن هارون بن سعيد الأيلي قال: لو أنّ الشافعي ناظر على

أنّ هذا العمود الحجر خشبٌ لغلب، لإقتداره على المناظرة). وقال

^{١٠} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ١٧٠.

أحمد بن أبي سريج الرّازي: ما رأيت أحدا أفوه ولا أنطق من الشافعي.^{١١}

- الشافعي العالم باللغة والنحو والأدب

قال عبد الملك بن هشام النحوي: (طالت مجالستنا للشافعي، فما سمعت منه لحنه قطّ). وقال الأصمعي: (أخذت شعر هذيل عن الشافعي). وقال أبو عثمان المازني: (الشافعي عندنا حجة في النحو).

وقال المبرود: (رحم الله الشافعي كان من أشعر الناس، وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات). وقال ياقوت الحموي: (حدّثت عن الحسن بن محمد الرّعفرني قال: كان قوم من أهل العريّة يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا، ويجلسون ناحية. قال: فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم، فلم تختلفون معنا؟ قالوا :

^{١١} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ٢٢٠-٢٣

نسمع لغة الشافعي). وقال يونس بن عبد الأعلى: (كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده، قالت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه، قالت: هو بهذا أعلم.^{١٢}

- الشافعي الحكيم

توافر للشافعي من سعة العلم، وحدّة الذكاء، والثقافة الواسعة، وحبّه للنصيحة ما أهله أن يكون من أعظم الحكماء في التاريخ، وما جعل شعره ونشره يفيضان بالحكمة الخالدة، ومأثور الكلم. أمّا شعره فمعظمه في الحكمة والنصيحة، ولعلّ الشافعي شاعر الحكمة بلا منازع، إذا يكاد أن يكاد أن يقتصر شعره عليها.^{١٣}

^{١٢} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ٢٣.

^{١٣} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ٢٣-٢٤.

- كته

ترك الشافعي ثروة ضخمة من الكتب النفسية تشهد له
 بطول باعه في العلم والمعرفة، وهي: إباحة الطلاق، إبطال
 الإستحسان، إتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الإجازات
 إملاء، الإجازات الكبير، الأجناس، أحكام القرآن، إختلاف
 الأجير والمستأجر، إختلاف أهل العراق على علي وعبد الله،
 إختلاف الحديث، إختلاف الزوجين في متاع البيت، إختلاف
 العراقيين، إختلاف علي وعبد الله، أدب القاضي، الإستحقاق،
 إستقبال القبلة، الأسارى والغلول، الأسرية، إصطدام الفرسين
 والنفسين، الإعتكاف، إقرار أحد الإبنين بأخ، الإقرار بالحكم
 الظاهر، الإقرار والمواهب، الأقضية، الأمالي في الطلاق، الإمامة،
 الأولياء، إيجاب الجمعة، الإيلاء، الإيمان والتّذور، البحيرة والسّائبة،
 بلوغ الرشد، بيان فرض الله عزّ وجلّ، بيع المصاحف، البيوع

الكبير، تحريم ما يجمع من النساء، التعرض بالخطبة، التّقليس،
 جراح العمد، الجزية، جماع العلم، جناية البيطار والحجّام، الجناية
 على أمّ الولد، جناية معلّم الكتاب، الجهاد، جبل الحبلة، الحدود،
 الحكم في تارك الصّلاة، الحوالة والكفالة، الخرص، خطاء الطّبيب،
 خلاف مالك والشافعي، الخلع والنّشوز، الدّعوى والبيّنات،
 الدّيّات، ديات الخطاء، ذبائح بني إسرائيل، الرّجعة، الرّدّ على محمّد
 بن الحسن، ردّ المواريث، الرّسالة، الرّضاع، الرّهن الصّغير، الرّهن
 الكبير.^{١٤}

وأما إسم الكتاب الأخرى للإمام الشافعي هو: زكاة
 الفطر، الزّكاة الكبير، زكاة مال اليتيم، السّاحر والسّاحرة، السّبق
 والرّمي، سير الأوزاعي، سير الواقدي، الشّغار، الشّروط، الشّفعة،
 الشّهادات، صاحب الرّأي، الصّدّاق، صدقة الحيّ عن الميت،

^{١٤} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ٣٠-٣١

الصَّرف والتجارة، صفة النَّفي، صفة نهي النَّبيِّ عليه الصَّلَاة
 والسَّلَام، صلاة الإستسقاء، صلاة الجنائز، صلاة الخوف، صلاة
 العيدين، صلاة الكسوف، الصَّلَاة الواجبة، والتَّطَوُّع والصَّيام،
 الصَّلح، صول الفحل، الصَّيام الكبير، الصَّيد والدَّبائح، الضَّحايا،
 الطَّهارة، الظَّهار، العتق، عتق أمَّهات الأولاد، العِدَّة، عشرة
 النِّساء، العقول، عمارة الأرضين، العمرى، غسل الميِّت، الغضب،
 فرض الصَّدقة، فضائل قريش والأنصار، قتال أهل البغي، قتال
 المشركين، القرعة، القسامة، القطع في السرقة، القراض، قسم
 الصَّدقات، قسم الفيء، قَطَّاع الطَّرِيق، كرى الإبل والرَّواحِل، كرى
 الأرض، اللَّعان، اللَّقطة، اللَّقيط والمنبوذ، ما ينجس الماء ممَّا خالطه،
 مختصر البويطي، مختصر المناسك، المدبَّر، المرتدَّ الصَّغير، المرتدَّ
 الكبير، المزارعة، المساقاة، مسألة الجنين، مسألة المني، المكاتب،
 المناسك الأوسط، المناسك الكبير، التَّفقة على الأقارب، الوديعة،

الوصايا بالعتق، الوصايا الكبير، وصية الشافعي، الولاء والحلف،
وصية الحامل، الوصية للوارث، الوليمة، اليمين مع الشاهد.^{١٥}

- شعره الشافعي وديوانه

حرص الشافعي أن يكون عالماً فقيهاً لا شاعراً مشهوراً،
وهو يرى أنّ الشعر يزري بالعلماء، يقول (من الوافر):
ولولا الشعر بالعلماء يزري # لكنت اليوم أشعر من لبيد
ولم يذكر أحد من الرواة أنّ للشافعي ديواناً، ولعلّ أوّل من
اهتمّ بجمع شعره ونشره محمد مصطفى، وكان ذلك سنة ١٩٠٣م،
حيث أصدر في القاهرة مجموعة من شعره سمّاها (الجوهر النفيس في
أشعار الإمام أحمد بن إدريس)، تقع في سبع وأربعين صفحة، ثم
أصدر محمود إبراهيم هيبة ديوانه سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ثمّ
أعاد زهدي يكن نشر هذا الديوان في السنة ١٩٦١ م، ثمّ بدأت

^{١٥} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص ٣٠-٣١

دور النشر المختلفة بنشر هذا الديوان نظر إلى شدّة إقبال القراء على إقتنائه. وجاءت طبعات الديوان متفاوتة بالنسبة إلى أحجامها، وشروحاتها، والدقّة في التحقيقي، وعدد القصائد والمقطوعات المثبتة. ولعلّ أكثر الطبعات إنتشارا طبعة دار الجيل التي أعدّها نعيم زرزور، وأكثرها إعتماذا لدى الدارسين والمحقّقين طبعة دار الثقافة التي نشرها زهدي يكن.^{١٦}

^{١٦} إميل بديع يعقوب، شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي، ... ص. ٣٣-٣٤